"دور الثورة الجزائرية في التحرر الفكري للحركة الافريقانية
– فرانتز فانون نموذجا–"

أ.ماضي مسعودة

جامعة أدرار

الملخص:

يتناول هذا البحث حياة الثائر والمثقف فرانتز فانون ، الذي ناضل إلى جانب الجزائريين إبان الثورة التحريرية المجيدة و ساهم في اقتلاع جذور الاستعمار من الجزائر و من إفريقيا قاطبة.التحق فرانتز فانون بالثورة الجزائرية بعد مرور سنتين من اندلاعها، حيث اختار و بلا رجعة الوقوف بجانب المعذبون في الأرض . و تولى مناصب هامة في جبهة التحرير الوطني ، حيث كان عضوا في هيئة تحرير جريدة المجاهد لسان حال الثورة الجزائرية، كما أوكلت له مهام دبلوماسية في عدة أقطار افريقية و كان احد أطباء جيش التحرير الوطني إلى غاية وفاته في السادس من ديسمبر سنة 1960. وبالرغم من حياته القصيرة ، فقد ترك المناضل فرانتز فانون بصماته في الكفاح ضد الاستعمار والعنصرية في العالم.

Résumé:

Cet article revient sur une personnalité emblématique de la révolution algérienne puisqu'il s'agit de Frantz FANON, le militant et l'intellectuel anti –colonialiste. Deux ans après le déclenchement de la guerre de libération nationale en Algérie Frantz FANON choisit son camp, celui des colonisés et des peuples opprimés. IL rejoint le Front de Libération Nationale (FLN) en Algérie. Il eut d'importantes responsabilités au sein du FLN membre de la rédaction de son organe central, "El Moudjahid". Il fut chargé de mission auprès de plusieurs Etats d'Afrique noire, ambassadeur du Gouvernement provisoire de la République algérienne au Ghana. Jusqu'à sa mort le 6 décembre 1961, FANON s'est donné sans limites pour la cause de la libération des peuples opprimés en Afrique, ou il devient le théoricien de la révolution. Médecin psychiatre, écrivain, combattant anticolonialiste, FANON a marqué le XXe siècle par sa pensée et son action.

المقدمة:

تعالج هذه الدراسة بعض محّطات وأفكار المناضل الإنساني العالمي فرانتز فانون "FRANTZ FANON" الذي يعدّ من أبرز الشخصيات التي وظّفت ثقافتها في خدمة القضايا العادلة ولم تلتزم بتخصّصها العلمي الدقيق، وإنّما جعلت منه بوّابة لوُلوج عوالم أخرى مكنتها من تحرير الشعوب المستعمرة المضطهدة، ليس من الأمراض العضوية وحسب، ولكن من الأمراض النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

نذكر هذا الموضوع بالذات لأنّ فانون كان طبيبا قبل أن يكون سياسيا مناضلاً ومضحيًّا من أجل كثير من شعوب المعمورة، التي كانت تعاني الإقصاء والحرمان والتهميش، من جرّاء الهيمنة الكولونيالية التي لم يسبق لها مثيل. ولكن قبل استعراض شيء من حياة هذا الرجل وفكره ونضاله الثوري، ينبغي طرح التساؤلات الآتية:

تُرى من هو فرانتز فانون ؟ وإلى أيّة أمّة ينتمي، حتى تكتب عنه الرسائل والأطاريح الأكاديمية ونكتب عنه نحن اليوم بعد حوالي خمسين عاما من وفاته، لكي نشيد أوّلاً وقبل كل شيء بنضاله الإنساني؟ ومن أيّة ثقافة استلهم معارفه؟ وفي أيّة مدرسة إنسانية تلقّى تعاليمه ومبادئه الإنسانية؟ ولماذا ضحّى من أجل الثورة الجزائرية التي كانت نافذة له على إفريقيا قاطبة؟

المبحث الأول : مولده و مساره الدراسي

لقد ولد فرانتز فانون في العشرين من يوليو–جويلية سنة 1925م[1] في جزيرة المارتينيك[2] التابعة لمجموع جزر الأنتيل، أو كما يطلق عليها جزر الكرائيب[3]، وهي إحدى المستعمرات الفرنسية منذ سنة 1635م[4]، عانت من التخلّف والفقر والاستغلال والحرمان، وسيطرة رجال الدين الكاثوليك الذين وضعوا أنفسهم في خدمة المحتل، وكانوا لا يسمحون لأيّ تطوّر أو وعي جديد بالظهور[5] .

---

[1] سعاد شيخاني: فرانتز فانون (رؤية لدور الكاتب والأدب الإفريقي باللّغة الفرنسية)، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت،1982، ص9.

[2] جزيرة المارتينيك: جزيرة تقع بأمريكا الوسطى، اكتشفها كريستوف كولمب سنة 1493م، تبلغ مساحتها حوالي ألف ومائة كيلومتر مربع، وهي بذلك المرتبة الثالثة من حيث المساحة الإجمالية لجزر الأنتيل، تبعد عن فرنسا بحوالي سبعة آلاف كيلومتر.

[3] جزر الكرائيب: نسبة إلى سكانها الأوائل الهنود الكرائيب.

[4] آمنة أبو حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ط1، دار المة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2008، ص ص464–465.

[5] ALICE CHERKI , *Frantz fanon portrait* ,éditions du seuil, paris, 2000, p. 22.

في وسط هذه البيئة الجغرافية والاستعمارية نشأ فرانتز فانون وسط عائلة ميسورة الحال، تابع دراسته الابتدائية بمسقط رأسه[1]، ولمّا جاءت الحرب الكونية الثانية (1939–1945م)، بلغ فانون سن الرابع عشرة، فكيف كان تأثير هذه الحرب على حياته فيما بعد يا ترى؟

في هذه الفترة انتقل إلى ثانوية شولشير، حيث التقى بأستاذ الفلسفة "إيميه سيزر"[2] "aimé Césaire" الذي تأثّر به تأثرا بالغاً[3]، وشارك سنة 1943م كأقرانه من شباب الأنتيل إلى جانب فرنسا الحرّة، بقيادة ديغول في الحرب ضد حكومة فيشي العميلة، فكانت مشاركته تعبيرا عمليا عن رفضه للممارسات العنصرية، واستجابة لنداء ضميره بوصفه فرنسيا ومدافعاً عن الحق في أي ظرف مهما كان[4]. وكان تطوّعه كذلك ضمن القوات الفرنسية أوّل احتكاك له مع إفريقيا، إذ مرّ بمدينة قرصيف بالمغرب ووهران وبجاية بالجزائر[5].

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عاد فرانتز فانون إلى جزيرته المارتينيك، واستأنف دراسته وتحصّل على شهادة البكالوريا في العام ذاته، وساند أستاذه "سيزر" لترشحه للبرلمان ممثلا عن الحزب الشيوعي الفرنسي لتشكيل أوّل مجلس وطني للجمهورية الفرنسية[6].

لقد انتهت الحرب العالمية الثانية إذن بعدما شارك فيها فانون واحتكّ من خلالها عن قرب بوطنه الأم إفريقيا، وإن كانت الفرصة لم تسمح له بالتعمّق كثيرا في معرفة ما يدور بداخل تلك القارة.

فراح يتابع مسيرته الدراسيّة، ففي سنة 1947م، خرج من مسقط رأسه المارتنيك لدراسة الطب في ليون بفرنسا، فاهتم كثيرا بعلم النفس التحليلي والأدب، كما تابع دروسا في علم الأجناس (ETHNOLOGIE)، وقرأ في علم الظواهر والوجودية، ودرس علاوة على ذلك الفلسفة أيضا، ولقد كان فانون في هذه المرحلة يجمع بين جدلية هيجل، واشتراكية ماركس، وتطلعات نيتشه، وروائع أستاذه سيزر، ووجودية سارتر، الذي كان فانون يحبّه حبًّا ليس له حدود.

---

[1] عائلة ميسورة الحال: تتكون من ستة أولاد، أبوه موظف مفتش بالجمارك، من أصول إفريقية زنجية، وأمّه جرمانية الأصل من عائلة هوسفلدر (Housfelder).

[2] إيميه سيزر: من مواليد سنة 1913م شمال جزيرة المارتينيك، أحد أهم أعضاء الحركة السريالية، وهو أحد مؤسسي حركة الزنوجية، مناضل في الحزب الشيوعي الفرنسي من منتصف الثلاثينات إلى سنة 1956م، وصاحب حزب التقدم المارتينيكي الذي أنشأه يوم 22 مارس 1958م.

[3] CHRISTINE CHAULET ACHOUR, "*le flamboyant et le guerrier silex aimé Césaire et Frantz fanon*", disponible sur (http:///www. Christine achour.net . consulté le 20-01-2009.

[4] ALICE CHERKI , *op.cit*., p22.

[5] محمد شرقي: "المجتمع الجزائري في تصوّر فرانتز فانون (1953–1961م)"، ط1، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، قسنطينة،2008، ص163.

[6] BENJAMIN STORA , "*la vie de Frantz fanon et la guerre d'indépendance Algérienne*, in(pensé aujourd'hui avec Frantz fanon)actes du colloque fanon, CSPRP, université, paris7, février 2008, édition on ligne disponible sur "http///www.CSPR.UNIV-paris Diderot, Frantz fanon. htm" . consulte le 04/01/2009.

كما كان على اطلاع واسع بالثقافة الأوروبية على خلاف الثقافة العربية الإسلامية، التي كان لا يعرف عنها شيئا[1] والتحق في هذه الفترة أيضا بجماعات المثقفين من اليسار، الذين كان يجمعهم العديد من الدوائر الفكرية والثقافية[2].

وابتداء من السنة الرابعة طب، بدأ اهتمام فرانتز فانون بطب الأمراض العقلية، واستطاع في التاسع والعشرين من تشرين الثاني–نوفمبر عام 1951م أن يناقش أطروحته حول الاضطرابات العقلية وأثرها على النخاع الشوكي والمخيخ "Troubles mentaux et syndromes psychiatriques dans L"hérédo dégénérescence Spino-Cérébelleuse"، وبذلك أصبح طبيبا مختصًّا في الأمراض العقلية[3]. وقد لعبت هذه الدراسة دوراً في نضاله المستقبلي إلى جانب الشعوب المستعمرة.

وفي سنة 1952م[4] أبدع فرانتز فانون إبداعا غير مسبوق، عندما ألّف كتابه "بشرة سوداء أقنعة بيضاء"، ويعدّ هذا الكتاب منعطفا حاسما في اتجاهاته الفكرية والثورية، لأنّه طرح مواضيع خطيرة كانت مثيرة للدول الاستعمارية التي تحاول تأبيد سيطرتها على شعوب المستعمرات خاصّة وأنّه تحدّث عن السود وانشغالاتهم ووضعهم ومعاناتهم، كما طرح كذلك فكرة العنصرية وعالجها من منطلق سوسيولوجي سياسي، اعتمد فيه على تجربته الشخصية لتحليل وضع كان قائم.

لقد تحدّث فيه عن كل شيء، عن السياسة والاقتصاد، عن اللّغة وعن الثقافة والأساطير، وكل القيم التي تؤثر بالفرد ويؤثر بها الفرد في الحياة[5] . ولكن كيف كان مسار فانون بعد التحاقه بالجزائر ؟

المبحث الثاني : التحاق فرانتز فانون بالثورة الجزائرية

لقد بدأ في سنة 1953م يسعى للحصول على منصب عمل، فشارك في مسابقة ميديكا (Médicat) للالتحاق بمستشفيات الأمراض العقلية، وبالفعل نجح في هذه المسابقة، والتحق في الثاني والعشرين من أكتوبر 1953م، بمستشفى جوانفيل[6] (Joinville) في البليدة بالجزائر وباشر عمله في الثالث والعشرين من نفس الشهر في السنة ذاتها[7]، وهنا كانت بداية فرانتز فانون م1ع القضية

---

[1] PHILIPPE LUCAS , *Sociologie de Frantz fanon Anthropologie de la libération*, SNED, Alger ,1971, p. 218.

[2] تتمثل تلك الدوائر الفكرية والثقافية في مجلّة الأزمنة الحديثة، مجلّة الفكر، مجلّة الحضور الإفريقي.

[3] PHILIPPE LUCAS, *op.cit*., p. 213.

[4] *في سنة 1952م كذلك تزوّج فرانتز فانون من فتاة من مدينة ليون الفرنسية وأنجب منها بعد ذلك ولداً سمّي أوليفي. أنظر:*

MAURICE DESPINOY, Entretien in revue sud nord, p. 108.

[5] ALICE CHERKI, *op.cit*., p. 44.

[6] مستشفى جوانفيل: أخذ بعد الاستقلال اسم فرانتز فانون.

[7] NOUARA HOCINE , *les intellectuelles Algériens (Mythe Mouvance et Anamorphose*), édition Dahlab-Enag, 2005, p. 203.

الجزائرية خاصّة وأنّ منطقة البليدة التي عيّن طبيبا في مشفاها كانت معقلا حسّاسًا مهمًّا من مراكز الحركة الوطنية والجزائر تعيش في حالة غليان دائم[1].

و بعد عام واحد من التحاقه بالجزائر اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 م ولم يكن فانون يعلم شيئا عن ذلك البركان، الذي هزّ أركان الصرح الاستعماري في ذلك اليوم التاريخي المشهود. انطلقت الثّورة وفانون يتابع أخبارها من خلال الصحف الاستعمارية، وربّما الأهلية أيضا على الرغم من أنها كانت تشير إليها باسم "الحوادث" "والخارجين عن القانون" و"المتمردين" و"الفلاّقة" ونحو ذلك من التعابير التي كانت تحاول سلطات الاحتلال تغطية الحقائق الجوهرية بها والتي لم تكن تريد كشفها للرأي العام.

لقد انفجرت الثّورة الجزائريّة في سرية تامة، ولم يكن يعرف عنها حتى من الوطنيين إلاّ القليل ولكن فرانتز فانون كان يتحسّسها في مشاعره المناهضة للاستعمار والعنصرية، ويحاول أن يعرف الحقيقة فيما يجري على الساحة السيّاسية والعسكرية في الجزائر، وبدأت تتأكد لديه حقيقة الثّورة منذ أن لاحظ تزايد عدد المرضى في مستشفى الأمراض العقلية الذي كان يشرف على احد مصالحه[2].

وهكذا استقبل فانون اندلاع الثّورة التحريرية بالكثير من التأييد والتشجيع للتخلص من الاستعمار بكلّ أشكاله، وكان يتابع بشغف واهتمام كبيرين تحرّكات جبهة التحرير الوطني ولكنّه لم يكن قادرا على الاتصال بمسئولي الثّورة، لأن ذلك لم يكن يسيرا وحتى المسئولين أنفسهم كانوا ما يزالون مجهولين نوعا ما، ولكنه تمكن شيئا فشيئا من الاتصال بقيادة أركان الجيش في ولاية الجزائر سنة 1955م، بعدما توسعت علاقاته وزادت مساعدته للجرحى والمرضى الذين كانوا يُرسلون إليه، وكان ذلك أوّل اتصال له بالجبل.

وفي ديسمبر من سنة 1956 التقى فرانتز فانون بعبان رمضان[3]، و هما اللذان كانا يلتقيان فكريا فقد كان عبان رمضان أيضا يساريا ، متشبعا بالفكر الثوري الذي أخذه من كتابات كبار أقطاب الشيوعية العالمية، كـ: لنين، وماوتسي تونغ، وشي جيفارا، وغيرهم من الذين زرعوا الفكر الثوري في العالم الثالث الخاضع للهيمنة الإمبريالية.[4]

كما كان فانون يقدّر بن خدّة ويحترم كريم بلقاسم ويعتبره رجل الشّعب أو بالأحرى ابن الشّعب، في حين أنّه كان لا يميل إلى عبد الحفيظ بوالصوف(1926–1982م) ولخضر بن طوبال(1923–2002م)[5].

---

[1] خالفة معمري: عبان رمضان، تعريب زينب زخروف، منشورات تالة ، ط 3، جويلية 2007، ص7 .

[2] محمد الميلي: المصدر السابق، ص ص. 76–75.

[3] التقى فانون بعبان بوساطة بيار شولي و هو طبيب فرنسي ناضل من أجل القضية الجزائرية.

[3] ALICE CHERKI, *op.cit*., p. 50.

[5] *Ibid.*, p. 50.

وتابع فانون مسيرته مع الثورة، إذ في سنة 1956م، ولمّا توسعت الحرب التحريرية، زاد عدد الجرحى والمصابين، وبالتالي زادت الحاجة إلى الأطباء وخاصة الجرّاحين منهم، فكان المناضلون يستنجدون بفانون في مستشفى البليدة، وكان هو من جهته يساعدهم ويقدّم لهم العلاج، ويستعين بأطبّاء وصيادلة آخرين إذا لزم الأمر ذلك[1].

كما توطدت علاقة فانون بالجبهة، وأصبحت المصلحة التي كان يترأسها وجهة للمناضلين والمناضلات المطاردين من قبل الإستعمار الفرنسي، والذين كانوا يقومون بنقل المناشير إلى المدينة، ونقل الأسلحة إلى الجبال، فكان هذا الطبيب المناضل يخبّئهم ليلا ويعمل بعدها ممرّضوه على إزالة آثار مبيتهم، وأصبح المستشفى عشا للمجاهدين والمناضلين الجزائريين، حتى أنّهم سمّوا بزوار الليل.

[1] محمد شرقي: المرجع السابق، ص182 .

وهكذا توطدت علاقة هذا المناضل بالثورة، شأنه شأن عدد من الأوروبيين أمثال بيار شولي أليس شاركي، فرانسيس جونسون...الخ[1]، وأدرك عمقها وحقيقتها وأبعادها الإنسانية فكتب عنها يقول: "**إن الثورة في عمقها وحقيقتها، هي التي تحوّل الإنسان وتجدّد المجتمع، فهي متطوّرة جداً وهي الأكسجين الذي يبدع وينظم الأفراد، إنّها الثورة الجزائرية**"[2].

وفي أواخر سنة 1956م قرّر فرانتز فانون الاستقالة من مستشفى البليدة بعد الكثير من العقبات التي وضعتها إدارة الاحتلال الفرنسي في طريقه، خاصّة بعد أن اكتشف ميله للأهالي المسلمين الجزائريين، وتأييده للثورة، وكذا تأثره بالممارسات الاستعمارية الوحشية ضد الجزائريين، التي لم يكن قادرًا على تحملّها أو تغييرها على أرض الواقع[3]، وبالفعل غادر الجزائر[4] متوجها إلى تونس سنة 1957م[5]. ولكن هل تواصل كفاح هذا الرجل الثائر مع القضية الجزائرية؟، أم أنّه توقّف مع مغادرته البلاد؟

نعم لقد تواصل نضال الرجل هناك في تونس، إذ انضم في شهر جوان من سنة 1957م إلى جريدة المجاهد[6]، بعد أن استدعي في سنة 1956 مع محمد الميلي (1930م) من قبل بن يوسف بن خدة للالتحاق بتطوان بشمال المغرب للعمل في هذه الجريدة ، وهناك وموازاة مع القراءة كان بعد الظهر يحظر اجتماعات هيئة التحرير–لجريدة المجاهد– التي غالبا ما كانت تهتم بدراسة بعض النصوص الثورية .

---

[1] ALICE CHERKI , *op.cit*., p123.

[2] FRANCIS E T COLETTE JANSON, *L'Algérie hors la loi*, paris, édition du seuil,1955, p. 17.

[3] فرانتز فانون: من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 36–37.

[4] غادر فرانتز فانون الجزائر بعد قرار طرد وصله في الأسبوع الأول في مطلع سنة 1957م من قبل الوزير المقيم بالجزائر روبير لاكوستROBERT LACOSTE.

[5] PIERRE CHAULET, " *Frantz fanon, si proche*".., revue pratique psychologique volume I , N°2-3, édition institut national de sante publique ,Alger, 2003, p. 53.

[6] جريدة المجاهد :كانت تصدر في البداية داخل الجزائر ،ثم انتقلت إلى المغرب ثم إلى تونس .انظر احمد حمدي ' الثورة الجزائرية و الإعلام ،ط 2 ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد. بدون تاريخ.

كما كان دائم البحث والاطلاع في السياسية والطب النفسي وخاصة في كتب أستاذه توسكال[1] وقد مكث فانون هناك ولم ينتقل إلى تونس مرة أخرى إلا بعد أن تم نقل جريدة المجاهد إليها في أكتوبر 1957م وأصبح واحدًا من أبرز محرّري المقالات السياسية، إذ أصدر في هذه الفترة أي ابتداء من شهر سبتمبر 1957م مجموعة من المقالات المهمة منها:

أولا: مقال في سبتمبر 1957م، بعنوان: "الجزائر في مواجهة المعذبين الفرنسيين"، نشر في مجلّة المقاومة الجزائريّة[2]، تحدث فيه عن تعذيب الجزائريين من قبل الفرنسيين.

ثانيا: مقال في نوفمبر 1957م، بعنوان "بخصوص مرافعة"، تحدث فيه عن المرأة الجزائريّة ومشاركتها في الثّورة من أجل الاستقلال، كما تحدث عن جميلة بوحيرد(1934م) والتعذيب الذي مورس عليها من قبل الجلاّدين الفرنسيين ووجّه من خلاله نداء إلى المثقفين لإبداء موقفهم تجاه ما يجري في الجزائر.

ثالثا: سلسلة من المقالات نشرت ما بين الخامس عشرة والثلاثين من ديسمبر 1957م، بعنوان "المثقفون والديمقراطيون الفرنسيون في مواجهة الثّورة الجزائريّة"، لقد سجلّ فانون في هذه المقالات خيبة أمله في اليسار الفرنسي، وعكست بالفعل إخلاصه الحقيقي للثورة الجزائريّة، ذلك أن هذه الثّورة جعلت اليسار الفرنسي برمّته على المحك، ووضعته في إطار جديد، إمّا أن يتضامن معها وإمّا أن يظهر على حقيقته، وبذلك ينكشف وجهه الحقيقي.

---

[1] توسكال : طبيب إسباني مختص في الأمراض العقلية ورائد علم النفس المؤسساتي وهو أحد مناهضي حكم فرانكو في اسبانيا

[2] جريدة المقاومة: تأسست سنة 1956م في تونس، ثم نقلت إلى تطوان بالمغرب عام 1957م.

كما عمل فرانتز في هذه الفترة أيضا أستاذًا في مراكز الثورة يدرّس الجنود، مما وطد علاقته بمسؤولي جبهة التحرير الوطني المقيمين في تونس[1]وبعد عام 1957م عيّن فانون ناطقا رسميا لجبهة التحرير الوطني، وبدأ بتأليف كتابه "**الثورة الجزائرية في عامها الخامس**"[2]، حاول من خلاله دراسة تأثير الاستعمار على المجتمع الجزائري . كما ركز فيه عن المرأة الجزائرية و دورها في الحفاظ على الهوية الوطنية[3].

كتب فيه كذلك عن الجزائر المستحدثة فقال : " **إنّ الأمة الجزائريّة لم تعد اليوم موسومة في آفاق خيالية، ولم تعد وليدة خيالات غامضة، قد اعترتها الخرافات والأوهام، وذلك لأنها قلبت الجزائري ذاته حتى أصبح، ذا أبعاد مستحدثة لوجوده**"[4].

وكنتيجة لجهوده الفكرية والسياسية والمهنية، في خدمة الثورة الجزائرية، عيّنته الحكومة الجزائرية المؤقتة سفيرا للجزائر في أكرا عاصمة غانا سنة 1960[5] ، وخلال إقامته هناك لاحظ وجود إمكانية أخرى لتدعيم الداخل عن طريق حدود جنوب الصحراء وبالضبط عن طريق مالي[6]. ذلك أن الثورة الجزائرية بقوتها وعمقها ، جعلت الجماهير الإفريقية تدرك ضرورة التفكير في سلوك طريق الكفاح المسلّح، الذي أصبح ضرورة حتمية لتغيير مجرى التاريخ، فتعدّت الثورة بذلك تجربتها المغاربية إلى إفريقيا السوداء، ولم تبق بمنأى عنها[7].

---

[1] أحمد حمدي: الثورة الجزائرية والإعلام، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص ص 121–122.

[2] سمي بعد وفاته "سوسيولوجية ثورة" و كان سيعنون في الأصل ب: "حقيقة امة" أتم كتابته في شهر جويلية سنة 1959و قد تم حجزه ثلاث مرّات، الطبعة الأولى والثانية فيما بين فيفري–مارس 1960، والثالثة عام 1963، إذا اعتبر تهديدا للأمن الداخلي للدولة الفرنسية.

[3]ANNABELLE GOLLAY," Féminisme et post colonialisme (Beauvoir, fanon et la guerre d'Algérie)" , international journal of francophone studies, volume 10, numéro3, 2007. PP.409-410.

[4] فرانتز فانون: سوسيولوجية ثورة ، ترجمة ذوقان قرقوط، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت: 1970–م، ص. 19.

[4]REDHA MALEK , L'Algérie a Évian (histoire des négociations secrètes(1956 – 1962) éditions Dahlab , Alger :1995,P.73

[6] المكان نفسه.

[7] محمد الميلي، المرجع السابق، ص172.

وقد رسم فرانتز فانون لنفسه في هذه الفترة مجموعة من الأهداف لعلّ أهمها تنشيط إفريقيا والإعانة على تنظيمها وتجميعها وراء المبادئ الثورية، و الإسهام في الحركة النضالية للقارّة[1] من خلال مشاركته في العديد من المؤتمرات المرتبطة بقضاياها ، لعل أهمها الندوة الأولى لاتحاد الشعوب الإفريقية التي انعقدت في أكرا عام1958 م وفيما بين 26–31 مارس 1959م، كان لفانون لقاء آخر مع إفريقيا من خلال المؤتمر الثاني للكتّاب والفنانين السود، الذي التأمت فعالياته في روما.

كما شارك في الندوة حول السلم والأمن في إفريقيا، التي انعقدت في أكرا ما بين 7–10 أفريل 1960م، وفي الندوة الإفريقيّة الآسيوية فيما بين 12–15 أفريل بكوناكري من السنة ذاتها ، وفي ندوة الشبيبة الإفريقيّة في جويلية وأوت من السنة ذاتها بأكرا كذلك. و شارك أيضا في الندوة الثالثة للدّول الإفريقيّة المستقلة في أديس أبابا في شهر جوان 1960م[2]، في حين حضر فرانتز فانون مرّة أخرى لقاءًا في إفريقيا نهاية شهر أوت وبداية سبتمبر 1960م، في مدينة ليوبولد فيل الذي دعى إليه باتريس لومومبا.

والجدير بالذكر أن مشاركته في جميع هذه الندوات الرسمية كانت بصفته ممثلا دبلوماسيا لجبهة التحرير الوطني الجزائرية ، و من خلال احتكاكه بالقارة عن قرب توصل فرانتز فانون إلى قناعة حقيقية بضرورة لم شمل القارة الإفريقية، والبحث عن الوحدة الفعلية فكتب في هذا الصدد مقالا بعنوان: "الوحدة والتضامن الفعال شرط لتحرير إفريقيا"، نشر في العدد الثامن والخمسين من جريدة المجاهد الّصادرة في الخامس من جانفي 1960م.

وقد استغل فانون وجوده في القارة الإفريقية فشكّل صداقات، ووطّد علاقات مع أفارقة، وذلك من خلال اتصاله بهم عن طريق جمعيات سرّية تناضل من أجل استقلال إفريقيا، إذ تعرف على القائد الغاني كوامي نكروما، والمتمرّد الكاميروني "فليكس مومي"، والنقابي الكيني "توم مبويا" والأنغولي "روبارتو هولدن"[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص. 184.

[2] BENJAMIN STORA , *Op. Cit.*

[3] *Ibid.* .

وهكذا اندمج فانون مع القضايا الإفريقية وأدرك ما كانت تعانيه تلك القارة من مشاكل وأزمات، فحاول تقديم بعض الاقتراحات، بحيث دعى إلى ضرورة انتهاج النظام الاشتراكي والابتعاد عن نظام الحزب الواحد، كما نادى بغلق الباب أمام البرجوازية، ونبّه القادة الأفارقة الجدد إلى عدم الانخداع ببعض السياسات الأجنبية التي تعيدهم إلى المربّع الأوّل.

وحاول تجسيد الوحدة الإفريقية على أرض الواقع، وذلك من خلال إنشاء جبهة جنوبية لدعم الثورة الجزائرية بالسلاح والرجال من مالي سنة 1960م.

وبعد كلّ تلك الجهود في القارة الإفريقية والتنظيرات التي طرحها، عاد إلى تونس في نهاية شهر ديسمبر من سنة 1960م، وقد أصيب بمرض سرطان الدم، فأرسلته جبهة التحرير الوطني إلى موسكو للعلاج في منتصف جانفي سنة 1961م[1]، وبعدما عاد من هناك طلب الالتحاق بالجبل حتى يكون لموته معنى، ولكن رغبته قوبلت بالرفض خوفاً على صحته.

لقد كان فانون يريد النضال من أجل الجزائر حتى النهاية، و يردّد: "**الجزائر يجب أن لا تسقط أبدا**"[2]، فعلى الرغم من ظروفه الصحية عمل على إعطاء دروس وطنية، لجيش التحرير الوطني "بغارديماو" على الحدود الجزائرية التونسية الأمر الذي أثّر على صحته.

ومع ذلك واصل نشاطه وبدأ بتأليف كتابه الجديد، وقد كان هذا المؤلف تحليلاً تاريخيا سوسيولوجيا على مستوى العالم[3]، اختار له عنوان "**معذبو الأرض**"[4]و الذي تم نشره قبل وفاته بأيام.

وفي خريف 1961م تدهورت حالته الصحيّة وبدأ يعاني، فاضطر أخيراً قّبول الذهاب للعلاج في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية[5].ولكن المرض تمكّن منه فتوفي في السادس من ديسمبر 1961م في ولاية ماريلاند في عيادة بالقرب من واشنطن.

فتم نقل جثمانه إلى مقبرة الشهداء الكائن بعين الكرمة على الحدود الجزائرية التونسية، وبذلك تحقّقت وصيته لأنّه طلب من الرفاق أن يدفنوه إذا مات في أرض الثورة[6].

نعم لقد مات فانون، ولكن إنتاجه السياسي والفكري والأدبي، لم ولن يمت، لأنّ سيرته حافلة بالعطاءات والأعمال، التي تستحق إعادة القراءة على ضوء التطورات الجديدة في الثقافة والسياسة والثورة والمجتمع. لأنّها ثقافة جديدة ومتجدّدة على الدوام، على الرغم من ظهورها في فترة

---

[1] ALICE CHERKI, *op.cit.*, pp. 212-236.

[2] عبد المجيد عمراني: جان بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، مصر، بدون تاريخ، ص158.

[3] ALICE CHERKI , *op.cit.*, p. 235.

[4] قال سارتر عن هذا المؤلف أن العالم الثالث يكتشف نفسه ويتحدّث إلى نفسه من خلال هذا الصوت.

[5] كان فرانتز فانون رافضاً للذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنّه كان يرى فيها تجسيدا للاستعمار الجديد، ورمزًا من رموز الاضطهاد لشعوب أمريكا اللاتينية وإفريقيا.

[6] عبد الكريم حساني: مداخلة أثناء الملتقى الوطني الثالث لفرانتز فانون "الاستعمار جريمة ضد الإنسانية"، مديرية الثقافة لولاية الطارف 30–31 ماي 2006، مطبعة المعارف، عنابة، 2006، ص ص 97–98.

زمنية محدّدة، خاصّة وأنّه كتب حول الكثير من الموضوعات: الاستعمار، العنصرية، العنف، المرأة...الخ.

الخاتمة:

وخلاصة القول أنه ومن خلال تتبعنا لمسار الطبيب النفساني والمفكر والمناضل والكاتب المارتينيكي فرانتز فانون، يمكن أن نتوصل إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

أولا: أن فرانتز فانون رجل ثوري تجاوز هويته الأولى التي ضاقت به إلى هوية أوسع تمتد نحو العالمية ، إذ انتقل من جزيرته الصغيرة المارتينيك إلى الجزائر ، من أمريكا الوسطى إلى القارّة الإفريقية، من حياة الهدوء والاستقرار إلى حياة الكفاح والنضال والبحث عن الحرية.

ثانيا: أن فانون طبيبا أعاد اكتشاف الإنسانية بطريقة أخرى، ومضمون آخر وشكل آخر، ولم تكن مهنته سوى طريقا لمعرفة الآخر وتحريره من عقده ومعاناته، لأنه كان يؤمن أن الحرية هي الطريق الوحيد لشعور الإنسان بكرامته، وخاصّة بعد التحاقه بمستشفى البليدة بالجزائر في 22 من شهر أكتوبر 1953م، حيث اندمج مع الجزائريين وعالجهم بعدما أدرك استفحال ظاهرة الجنون والأمراض النفسية والهيجان الذي كان يزداد يوما بعد يوم نتيجة للممارسات الاستعمارية العنيفة ضد الجزائريين.

ثالثا: أن فرانتز فانون لم يستند إلى التنظير فقط بل زاوج بين النظرية والتطبيق في كافة المجالات التي عاش خادما لقضاياها، ولعل خير دليل على ذلك فكرته حول إنشاء جبهة جنوبية سنة 1960م لتدعيم الجزائر بالسلاح والرجال من مالي.

رابعا: أن فانون قد فضح الاستعمار وتأكّد أنّه لا يمكن إقناعه بالكلمة، وأكدّ على ذلك خاصّة في كتابه "معذبو الأرض" كما أكّد في كتاباته أن الاستعمار نظام أساسه العنف، وأنّه استدمار ووضّح فانون الآثار الجسدية والنفسية والاجتماعية التي يخلّفها هذا النظام الاستعماري في نفوس المستعمرين، ودعا إلى ضرورة التخلص منه بالعنف الثوري، عنف التحرّر و الانعتاق وأكّد أنّه الخيار الوحيد للقضاء على النظام الاستعماري.

خامسا: و من خلال هذا البحث يمكن القول أنّ فرانتز فانون أدرك عمق الثورة الجزائرية وتأثيرها على الثورات في إفريقيا، إذ جذبته بقوّة إشعاعها وصمود شعبها، ووضوح مسارها من الدائرة الفرنسية لتقذف به في العمق الجزائري.

قائمة المراجع:

أحمد حمدي: الثورة الجزائرية والإعلام، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

1- آمنة أبو حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ط1، دار المة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2008.

2- خالفة معمري: عبان رمضان، تعريب زينب زخروف، ط 3، جويلية 2007.
3- سعاد شيخاني: فرانتز فانون (رؤية لدور الكاتب والأدب الإفريقي باللّغة الفرنسية)، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت،1982.
4- عبد الكريم حساني: مداخلة أثناء الملتقى الوطني الثالث لفرانتز فانون "الاستعمار جريمة ضد الإنسانية"، مديرية الثقافة لولاية الطارف 30-31 ماي 2006، مطبعة المعارف، عنابة، 2006.
5- عبد المجيد عمراني: جان بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، مصر، بدون تاريخ
6- فرانتز فانون: سوسيولوجية ثورة ، ترجمة ذوقان قرقوط، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 1970
7- فرانتز فانون: من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.
8- محمد شرقي: "المجتمع الجزائري في تصّور فرانتز فانون (1953-1961م)"، ط1، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، قسنطينة،2008.

ALICE CHERKI , Frantz fanon portrait_ ,éditions du seuil, paris, 2000. 10-
11- CHAULET ACHOUR CHRISTIANE. Le flamboyant et le guerrier silex aimé Césaire et Frantz fanon, disponible sur "htpp://www.christianeachour.net", consulté le 20/01/2009
12- GOLLAY ANNABELLE. Féminisme et post colonialisme (Beauvoir, fanon et la guerre d'Algérie), international journal of francophone studies, volume 10, numero3, 2007.
13- HOCINE NOUARA. Les intellectuels Algériens Mythe, mouvance et anamorphose, éditions DAHLAB et ENAG, Alger 2005.3
14- JANSON COLETTE ET FRANCIS. L'Algérie hors la loi, paris, éditions du seuil, 1955.
15- MAURICE DESPINOY, Entretien in revue sud nord, N22, édition Eres , 2007.
16- PHILIPPE LUCAS, Sociologie de Frantz fanon Anthropologie de la libération, SNED, 1971.

17- PIERRE CHAULET, " Frantz fanon, si proche"..,revue pratique psychologique volume I N° 23, édition institut national de sante publique ,Alger, 2003
18- REDHA MALEK , L'Algérie a Évian (histoire des négociations secrètes(1956 – 1962) éditions Dahlab , Alger ,1995.
19- STORA BENJAMIN. la vie de Frantz fanon, et la guerre d'indépendance Algérienne, in (pensé aujourd'hui avec Frantz fanon), actes du colloque fanon, CSPRP-université, paris 7, février 2008 édition on ligne disponible sur "http:// www.csprp.univ-paris-diderot.ffactes_fanon.html, consulté le 04/01/2009